التمرد على عمود الشعر العربي

المحاضرة الثالثة للدراسات العليا الدكتوراه
الادب

إعداد الباحثة : تبارك عمار حسن

إشراف

الاستاذ الدكتور

لؤي صيهود التميمي

٢٠٢٣م

المدخل

قضية عمود الشعر هي القضية المركزية الأولى في النقد القديم ، لأنها تمثل خلاصة الأسس الجمالية للشعرية العربية القديمة التي جاء الشعراء المحدثون في العصر العباسي لتطويرها ، وتوسيع افاقها وفق ما تميله طبيعة الحياة ومتغيرات العصر ، فوقف عدد من النقاد القدامى امام هذه التجربة الشعرية الجديدة موجهين ومحللين لها وفق ما تمليه عليهم اصول الشعر العربي، وقد كثرت الآراء النقدية الحديثة حول هذه القضية المحورية واختلفت تصوراتها حول المفهوم ونتائجها فنجد البعض يحاول تفسير عمود الشعر بشكل عام للقصيدة من المقدمة ومباشرة الغرض والخاتمة ومرة بالوزن والقافية ومرة يجعلونه وصفاً فارقا بين الشعر ذي الشطرين والشعر الحر ومرة يعبرون عنه بالأصول العامة المستوحاة من الأعمال الشعرية القديمة ومنهم من ينظر اليه من منظور عدم التجديد في المعاني .يقصد بالتمرد : الخروج والتجاوز على عمود الشعر (القصيدة العمودية) ومحاولة ايجاد ما يخالفها او يغير في مبانيها اما عمود الشعر فهو طريقة نظم الشعر على سمت العرب أي الحفاظ على طريقة فحول الشعراء القدماء وهي طريقة البحتري في العصر العباسي لا ما جاء به المحدثين والمولدين والمتأخرين امثال ابي تمام ومن تبعة في ما بعد او هو التقاليد والسنن التي اتبعها الأوائل من الشعراء والتي ينبغي على كل شاعر جاء فيما بعد الالتزام بها وعدم المساس بحرمتها وان خرج احدهم او حاد عنها قيل عنه انه خرج عن عمود الشعر بالتالي فشعره مشكوك فيه وهو ما وقع فيه ابو تمام وانصاره وعمود الشعر مصطلح نقدي يعني طريقة العرب القدماء في نظم الشعر او هو التزام منهج اي النسج على العرب في بناء القصيدة الشعرية والاحتذاء بالقصيدة الانموذج وباختصار هو منوال القدماء في قول الشعر.

نشأة المصطلح

نشأ المصطلح عند الآمدي فهو اول من تحدث عن عمود الشعر بهذا اللفظ ويرى البعض ان تسمية الآمدي ل "عمود الشعر" ربما استمدها من مصطلح "عمود الخطابة " كما جاء عند الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين " ويربط الآمدي بين شكل الشعر وشكل الخيمة التي كانت تأوي الشعراء وكيف انها تقسم الى قسمين يفصل بينهما عمود الخيمة الذي هو ركيزتها واساسها الذي تقوم عليه وقد وضع تصور لعمود الشعر يعتمد على ما جاء عند القدماء والشعراء الجاهليين (الاسلوب /المعاني / الأخيلة) نحو قول عنترة العبسي

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الغضبُ

واما عن تصور عبد القاهر الجرجاني فهو يجمع عناصر الشعر للمفاضلة بين الشعراء وتحديد ايهما اسبق من الاخر ومن ثم هي معيار جودة الشعر وعند المرزوقي من الملاحظ ان الآمدي والجرجاني لما يقدما رؤية واضحة لمصطلح "عمود الشعر" ولم يحددا ملامح المصطلح فيقول عن عمود الشعر

((انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في وصف ، ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الأبيات والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشاكلة اللفظ والمعنى وشدة إقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر ولكل باب منها عيار))

من هذا المنطلق حاول الكثيرون المحافظة على عمود الشعر واسسه وهو يهتم بتقليد الشعر العربي القديم ومن الاسباب ((ان هؤلاء المتعصبين للقديم وبخاصة اولئك الذين غلبت عليهم الدراسات اللغوية والنحوية كانوا لا يجدون بغيتهم في هذا النوع من الشعر المحدث فقد كن هدفهم في دراسة الشعر ونقده ويرتكز اساسا على البحث عن الشاهد اللغوي الذي يدعمون به القاعدة))

هذا من جانب الالتزام اما تمرد كان من جانبين الشكل والمضمون ويمكن عد تمرد الصعاليك على القصيدة العربية(الشرارة الاولى) لقد كان صوت القصيدة بالنسبة للشعراء الصعاليك هي صوتهم الخاص المبتعدين فيه عن غمار التقليد والمشابهة مع الشعراء غير الصعاليك وقتها ولذا نجدهم لا يعبثون بتلك التقاليد ، او نمطية القصيدة الجاهلية وانما كانت قصيدة صورة لما يلزم به الشاعر نفسه من ضوابط وسلوكيات جديدة بعيداً عن الإطار العام للنص الجاهلي او مجتمعه نحو قول تأبط شراً

أغركَ منّي يا ابن فعلةَ علتي عشيةً ان رابت علي روائي

وموقدِ نيرانِ ثلاثٍ فشرها وألأمُها او قدتها غير عازبِ

نجد الشاعر مواكباً لهذا التحديث الموضوعاتي ليس فيه وقوفاً بالطلل البالي ولا حنيناً لذكرى الأحباب التي فارقوها اي خرج عن الاطار المتعارف عليه اي خرق المقدمات والدخول المباشر في انشاد شعره

ثم بعد ذلك نجد شعراء مثل ابو نواس و بشار بن برد وغيرهم من الشعراء ايضا نلتمس روح التمرد عندهم فمثلا بشار بن برد لم يرفض القديم رفضا قاطعا وليس خارجا على

عمود الشعر العربي خروجا كليا فقد التزم طريقة القدماء واضاف اليها على صعيد المعنى او اللفظ والنظم وهذا يسمى (التيار المحافظ الجديد) وقد تميز في شعره لأمرين الاول : ذاتي فالشعر فيه رؤيا الشعر المتأملة للحياة وتجربته واحاسيسه ....وتجربته تنبع من اعماق كيانه وتستبطن ما هو انساني فيها بذلك تخرج من مجرد التجربة التي تتعلق بحدود ذات الشاعر الضيقة الى افاق ارحب وموضوعي متصل بثقافة العصر فتميز برسم الصورة الشعرية من خلال الاسلوب المجاز اي ذات قيمة شعرية تجديدية لما توفر عنده قدرة على التوصيف والبيان نحو قوله

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يحيينَ قتلانا

عند يعقوب بن داود

وبيضاءُ يضحك ماء الشبابِ في وجهها لكَ إذ تبتسم

فجعل للشباب ماء ثم اضفى عليه صفة الاحياء وجعله يضحك هذه الخصوصية الاسلوبية في رسم الصورة عند بشار ،اضفت على شعره طابعا متميزا يغلب فيه التصور الذاتي الذي قد يخالف الموضوعية في بعض الاحيان

اما ابو نواس فقد "دعا بقوة الى التجديد في عمود الشعر ، وجهر بهذه الدعوة لأنه احس ان التقليد لم يعد يلائم تلك الحضارة الجديدة بما جاءت من ضروب الطرب والوان الفتنة اذا هو قد هاجم المقدمة الطللية مستبدلا اياها بالمقدمة الخمرية فيعلن حربا على بكات الديار ونائحيها من الشعراء الذين يأبون الا ان يتغنوا بالماضي في حين لو امعنوا النظر لوجدوا ان كل ما حولهم قد تغير واما الديار التي يبكونها تحولت الى قصور زاهرة وبيوت عامرة ولو تأملوا دواخلهم لوجدوا ان ما يجول فيها يتناقض مع ما يقولون

احسن من وصف دارس الدمنِ ومن حمامٍ يبكي على فنن

ومن ديارٍ عفت معالمها ريحانة ركبت على اذنِ

وفي موضع اخر

اترك الأطلال لا تعبأ بها إنها من كل بؤس دانية

فهو في مطالعة يتعمد نسف القديم واستبداله بما يتلاءم والحضارة التي يعيشها فاستبدل المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية

لا تبك ليلى ولا تبك الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها اجدته حمرتها في العين والخد

فالخمر ياقوته والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد

ميله الى المسمط هو عبارة عن قصائد تتألف من ادوار ويتكون الدور فيها من اربعة اشطر وتنفرد في الشطر الرابع لتسمى عمود المسمط ومثال خمرية ابي نواس

سلاف دن كشمس دجن

كدمع جفن كخمر عدن

طبيخ شمس كلون ورس

وبعد ذلك نجد شيوع عنصر الغرابة وهو من الانماط التي تبلغ بها الاستعارة الدرجة القصوى من التأثير في النفوس لأن غرابة الصورة او ندرتها من شأنها تستثير انفعالات المتلقي لأنه لم يكن يتوقع حصولها ولا عهد له بأمثالها فتبسط لها اسارير وجهه عجبا وتهتز لها خلجات نفسه طربا نحو قول ابن المعتز

سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير

فنلحظ هناك الكثير من محاولات التجديد و الخروج عن عمود الشعر ميل الشعراء للسهولة واللين وكان للتطور الثقافي والعمراني والحضاري في ذلك العصر اثر كبير في لغة واسلوب الشعر وكانت لهم حرية التصرف في كيفية عرض مضامينهم دون تجاوز الوحدة الموضوعية والتحرر من القوالب العروضية التي تقيد القدماء بها في بناء قصائدهم فالبعض التزم بها والبعض تمرد عليها فنجد الشعراء استحدثوا اوزانا تلائم روح عصرهم وذوقهم الشعري فجددوا في القافية واستحدثوا "المزدوج /المسمط / المخمس " فكل هذه المتغيرات كانت ارهاصات للتمرد وداخل قالب القصيدة لكن التمرد الاخطر هو في ظهور الموشحات لأنها غيرت الشكل والمضمون وهي لونا شعريا متميزا وفريدا في الادب طرب لها النقاد بعد ان استهوت الشعراء واتاحت لهم جملة من الفرص للتأنق والتميز وذلك من خلال الخروج على نموذج الشعري التقليدي فهي تمثل المتحول في النص الشعري كونها لم تكن موجودة من قبل فقد جاءت الموشحات على حد وصف بعض الدارسين ثورة على القالب الخليلي ومن جهة ثانية شكلت تحولا على الموضوعات التقليدية اذ عالجت موضوعات قريبة من الحياة وواكبت التطورات الاجتماعية التي تجلت في مجالس اللهو والطرب هي فن مستحدث من فنون الشعر

العربي في هيكل من القصيدة لا يسير في الوزن ورتوب القافية وانما يعتمد على منهج تجديدي متحرر فيه ثورة على الاساليب المرعية في النظم بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية فهو يختلف عن ضروب الشعر الغنائي في امور عدة منها خروجه على الأعاريض الخليلية وباستعمال اللغة الدارجة او العجمة في خرجته واقسامه هي القفل البيت الغصن الخرجة اما القصيدة العمودية تتكون من صدر وعجز

جادك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما

في الكرى او خلسةَ المختلس

اما قضية عمود الشعر من الجانب النقدي انقسم النقاد القدامى الى قسمين

الاول : ابو عمرو بن العلاء "رأس مدرسة المحافظة " كان شديد التعصب على المحدثين لخروجهم على عمود الشعر وهو صاحب الكلمة المأثورة عن تعصبه وذلك عندما سُئل عن شعر المولدين قال ((ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم))والاصمعي قال ((جلست اليه عشر سنين فما سمعته يحتج ببيت اسلامي فضلا عن ان يحتج بشعر المحدثين وهو القائل "لو ادرك الاخطل يوما من الجاهلية ما قدمت عليه احدا))

الثاني : مدرسة الانصاف بين القديم والحديث خلف الاحمر وخلف لوائه الجاحظ الذي قرر في مقدمة كتابة الإنصاف ((ولم انظر الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمة ولا الى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين))

الخلاصة

هذه الارهاصات الاولى للحداثة مرورا بمدارس شعرية عدة منها الاحياء والديوان وابولو والمهجر ظهر تمرد وشكل ظاهرة العصر هو على هيكلية القصيدة وانتاج الشعر الحر وبعدها قصيدة النثر وهو كسر البنية القديمة شكلا ولغة وايقاعا وهذا الشعر حقق قفزة كبيرة في مجال الابداع الشعري الذي اساسه التجاوز والاختلاف فقصيدة النثر منحت حرية التعبير بلغة جديدة يتعمد فيها الشاعر على خرق وانتهاك نظام القاعدة للغة والشكل والعروض مبنية في الواقع على اتحاد المتناقضات ليس في شكلها فحسب وانما ي جوهرها باسم الحداثة الفنية الادبية فالتمرد الفني هو من طبيعة الكتابة الابداعية .

المصادر

*عمود الشعر في النقد العربي المعاصر رسالة ماجستير ،سلمى عبد شاهين المالكي ، جامعة البصرة ، ٢٠١٣

*شعر الصعاليك نظرة في الروية والأداة ، مذكر بن ناصر القحطاني ،المملكة العربية السعودية ، رفحاء ، ٢٠٢٢

*مفهوم عمود الشعر العربي في النقد القديم والنقد الحديث دراسة في المتن النظري ، علي بن عبدالله بن احمد القرني ، جامعة الجوف السعودية

*عمود الشعر في ميزان النقد ، فاطمة بن يمينة ، جامعة عبد الرحمن بن خلدون ، الجزائر ، مجلة موازين

* التجديد في شعر ابو نواس ، ايمان الحياري ، ٢٠٢٢

*التمرد على قصيدة تاريخ ومآلات ، عبد الله بن سليم الرشيد ، البيان ، الكويت ،العدد٢٠٢٠،٦٠٥